**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدرس:** 7 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

**الدرس: تفسير القرآن الكريم** **المبحث: سورة لقمان**

**التاريخ:2021\\ م** **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

لازال الكلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيمِ﴾

المحطة الرابعة: ما المقصود من الآيات؟ الآية في اللغة العربية بمعنى العلامة، وهي كذلك في الاستعمالات القرآنية المتعددة، غاية الأمر المصاديق مختلفة عن المعنى والمفهوم من الآية في جميع ما ورد في القرآن الكريم بمعنى العلامة والأمارة على شيء، غاية الأمر مصاديق هذه العلامة والأمارة تختلف من مورد إلى آخر.

النوع الأول: في بعض الأحيان أطلق القرآن الكريم لفظة الآية على الأعيان الخارجية التي تكون علامة صدق وشاهد إثبات على نبوة النبي ﷺ، فهذا يقال له آية، على الشيء الخارجي، وإن شئت فقل معجزة، واستعمل ذلك في القرآن الكريم، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمين﴾[1] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾[2] أي معجزة تأتي لهم فيها لتثبت حقانية ما تقوله لا يتبعون قبلتك، فالآية هنا أطلقت على الأعيان الخارجية التي تكون شاهد صدق، أي: معجزة. هذا نوع الإطلاقات، لكن لا تخرج عن كون معناها علامة.

النوع الثاني: أطلقت الآية على غريب وعجيب صنع الله، حتى ولو لم يكن في مقام التحدي، ولا يسمى بالاصطلاح معجزة، وإلا آيات الله كلها معاجز، لكن المعجزة بالاصطلاح الكلامي هي التي تكون في مقام التحدي، وهذا في غاية الكثرة في القرآن الكريم. من أبرز شواهد هذا الاستعمال ما جاء في سورة الروم، مجموعة من الآيات المتتابعة: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي

[1] الأنبياء 91
[2] البقرة 145

ذلكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آياتِه خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمينَ (22) وَمِنْ آياتِه مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِه إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آياتِه يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] هذه كلها عجائب صنع الله في هذا الكون، وهذه علامات وشواهد على الربوبية وعلى حكمة الخالق تبارك وتعالى.

النوع الثالث: أطلقت الآية على القول، الكلام، ومجوع الكلمات، يقال لها آية، التي هي بعض من سورة، بعض من القرآن الكريم، من قبيل ما جاء في سورة النحل: ﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمينَ﴾[4] أي: شيء من القرآن بدلناه مكان شيء آخر ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[5] فإذن بناء على ذلك في الاستعمال الثالث القرآني استعملت الآية في مصداق القول والكلام.

إذا اتضح ذلك، ليس من البعيد أن تكون الآيات في الآية التي نتكلم عنها بهذا الاستعمال الثالث، والقرينة على ذلك، أنها أضيفت إلى الكتاب ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيمِ﴾ أضيفت الآية إلى الكتاب، فالآيات في الكتاب مفردها آية، وهي مجموعة كلمات، قول، كلام.

وقع البحث في علوم القرآن في كيفية تعيين الآية، هل يرتبط على المقاطع وعلى مضمون أم لا؟ أم أنه توقيفي؟ لا نسلم بهذه التوقيفية، كما ذكر في محله، بل ربما بعض الأمور الإنسان إذا دقق فيها يجدها ربما تكون على خلاف التقطيع الموجود في المصحف، وهذا لا ربط له بمسألة التحريف؛ لأن الآيات تصان، أما أن نقول إن هذا الجزء آية أم لا، جزء آية أو أقل أو أكثر، هذا لا يضر في مسألة الالتزام بصيانة القرآن الكريم عن التحريف، مثلاً: في سورة البقرة في ذيل الآية، يقول: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَيَسْئَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى

---

[3] الروم 20-24
[4] النحل 101-102
[5] البقرة 106

قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6] هذه في الدنيا والآخرة، حسب الترتيب في المصحف هي في صدر الآية، بينما هي متعلق يتفكرون في الآية السابقة، ويوجد خلاف بين الكوفيين وبين البصريين في عدد الآيات، وهذا ليس شيء توقيفي حتى تكون مخالفته منافية لصيانة القرآن الكريم عن التحريف.

إذن فالآيات فيما نحن فيه يقصد منها هذا المعنى الثالث.

المحطة الخامسة: في المراد من الكتاب ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ ما المقصود من الكتاب؟

يظهر منهم أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنه القرآن الكريم ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ يعني تلك آيات القرآن.

القول الثاني: أنه اللوح المحفوظ، آيات الكتاب أي الآيات الموجودة في اللوح المحفوظ.

القول الثالث: أن المراد من الكتاب الحكيم التوراة والإنجيل، ويكون تقدير المعنى: أن الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والإنجيل، بمعنى أن الحوادث والقصص والعبر الموجودة فيها هذه بعينها موجودة في التوراة والإنجيل ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ أي: التوراة والإنجيل.

القول الثالث في غاية البعد ولا شاهد عليه، ويقتضي أن يكون لفظ الكتاب مستعملاً كاسم جنس حتى يصح أن يطلق على التوراة والإنجيل، وإلا التوراة والإنجيل عبارة عن كتابين لا عن كتاب، مضافاً إلى أنه لا دليل عليه ولا شاهد عليه.

فيدور الأمر بين الأول وبين الثاني، العلامة الطباطبائي رحمه الله استقرب الأول، ويرى أن الثاني محتمل، لا بعد فيه، لكن الأقرب الأول. الفخر الرازي استقرب الثاني، وأن يكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ.

---

[6] البقرة 219-220

باعتقادي أن هذا الخلاف لا يؤثر في المقام، أن هذا القرآن الكريم قبل أن ينزل نجوماً بحسب مقتضيات الزمان والمكان والظروف، كان القرآن في اللوح المحفوظ، ففي سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾[7] نسلم أن القرآن غير الكتاب، ولكن هذه الظرفية وهذه الوعائية للكتاب لذلك القرآن الكريم أو في قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[8] أو في قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[9] بالنتيجة هذا القرآن ليس شيئاً أجنبياً عن اللوح المحفوظ وعن الكتاب، فاستدلال الفخر الرازي بهذه الآيات الثلاث التي قرأتها لإثبات أن المراد من الكتاب هنا اللوح المحفوظ لا القرآن لا يصلح شاهداً، فإن الكتاب كما أطلق على اللوح المحفوظ أطلق أيضاً على القرآن الكريم، والضمائر التي ترجع إلى الكتاب في كثير من الآيات الشريفة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما شابه ذلك، تدل بما يتضمن من ذكر وقرآن، فحينئذ لا يضر هذا الخلاف، وليس فيه مزيد عناية، وإنما الذي يهمنا في المقام أن قوله: ﴿الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ سواء أريد من آيات الكتاب الآيات المقروءة المسماة بالقرآن ﴿فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾[10] أم أريد منها تلك الحقائق العينية، هذه الآيات لها مفاتيحها، وهذا يؤيد تفسير الحروف المقطعة بأنها رمز بين الباري تبارك وتعالى وبين نبيه ﷺ، فيكون المعنى بهذه البساطة في سورة لقمان ﴿الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ وفي سورة يونس ﴿الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ فهذه المفاتيح هي رمز لهذه الآيات الموجودة في الكتاب المقروء أو في الكتاب الذي هو أم الكتاب، فهذا لا يضر، ولا يعرفها إلا النبي والوصي ومن أذن له بذلك من سائر المخلوقين إن كان.

---

[7] الواقعة 77-78
[8] البروج 21-22
[9] الزخرف 4
[10] القيامة 18